صراع النفوذ البريطاني _ الروسي في كردستان خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر واثره على الامارات الكردية ١٨٠٠-١٨٥١

ا. د. عمار يوسف عبدالله

كلية التربية الاساسية - جامعة الموصل/ العراق

الملخص:

تعد كردستان منطقة جذب لمصالح الدول الكبرى خاصة في النصف الاول من القرن التاسع عشر وذلك لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية فقد عملت بريطانيا وروسيا القيصرية خلال الفترة الممتدة منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف هذا القرن لإيجاد موطئ قدم لهما في كردستان ومحاولة التغلغل بين اوساط العشائر الكردية كذلك استمالة الاقليات الدينية وقد تمثل ذلك في العديد من الوسائل سواء أكان ذلك عن طريق النشاط الدبلوماسي أو البعثات التبشيرية او الرحالة والآثاريين .

قسمت هذه الدراسة إلى محورين تناول الاول إعطاء صورة عن أهمية التكوين الاقتصادي والاجتماعي للعشيرة في كردستان .

وتطرق المحور الثاني الى التنافس البريطاني _ الروسي في كردستان منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف هذا القرن واثر ذلك الصراع على مستقبل الامارات الكردية وقد برز ذلك من خلال النشاط الدبلوماسي البريطاني _ الروسي كذلك البعثات التبشيرية و الرحالة والآثاريين .

الكلمات المفتاحية : *بريطانيا ، روسيا ، كردستان ، الامارات الكردية ، القرن ١٩*

اولا : التكوين الاقتصادي والاجتماعي للعشيرة في كردستان

يمكن تقسيم العشائر الكردية من حيث تنظيماتها الاجتماعية والاقتصادية إلى نوعين العشائر الرحالة، والعشائر المستقرة . (للتفاصيل المائي ، ١٩٦٠ ، خورشيد , 1955 , Waheed 167-170)

وتتمثل الأوضاع الاقتصادية للعشائر الكردية في الانتفاع المشترك بالملكية المشتركة لأراضي المراعي ولمصادر المياه، وحتى الأراضي الزراعية في بعض الأحيان. ولعل هذا التعاون يبدو أكثر وضوحا في حالة العشائر الرحل . فالطائفة تمتلك مساحة معينة من الأرض بصورة

جماعية كمرعى لحيواناتها (خصباك ، ١٩٦٠ ، ١٣٢-١٣٣) . وقد يؤجر أفرادها بصورة مشتركة أرضاً معينة كمرعى لحيواناتهم. فالجاف مثلاً مشهورون بتربية المواشي وأكثرها الأغنام (العزاوي ، ج٢ ، ١٩٤٧ ، ٢٣٦-٢٣٧) .

وتجوب القبائل الكردية المناطق الشمالية الجبلية وشبة الجبلية في النطاق الممتد ما بين عقرة حتى حاج عمران على الحدود العراقية الايرانية . وتزاول هذه المجموعة الحركات الفصلية ففي الشتاء يهبطون إلى الأودية والسهول وفي مناطق الأحواض بسبب تراكم الثلوج على المرتفعات بينما يتركون هذه المنازل في الفصول الأخرى قاصدين المرتفعات المغطاة بالكلأ لتربية مواشيهم وأغنامهم. والماعز هو الحيوان الرئيسي الذي يربى في هذه البيئة (هاملتون ، ١٩٩٩ ، ٦٨ ؛ Yale , 1958 , 311-312)

أما العشائر المستقرة فيتقيد أفراد العشيرة بالملكية المشاعية لمصادر المياه ويتحمل الكوخا (مختار القرية) في العادة مسؤولية تطبيق هذا القانون الاجتماعي بحيث لا يحاول احد الأفراد على الاستيلاء على مياه ري تفيض عن حقه. وربما أن الملكية الاسمية للأرض تعود إلى الأسرة الحاكمة في العشيرة. فان للرئيس الحق في الأراضي الزراعية التي يحتلها المجتمع العشائري. والواقع فان لكل فلاح من أبناء العشيرة له حق المزارعة أي حق التملك لمساحة معينة من الأرض. ويتم إعادة توزيع الأراضي بين الفلاحين كل عام او كل عدد من السنين.

أما مراع القرية فأنها تعد ملكاً مشاعياً لجميع السكان. ويتضح التعاون الاقتصادي بين أفراد الطائفة الواحدة أيضا ضمن القرية بتأجير راع للقيام برعي حيوانات القرية بصورة مشتركة (خصباك ، ١٩٧٢ ، ٣٨٧) .

والأراضي كثير منها مفوضة بالطابو وأن أمرائها ورؤسائها يملكون القسم الأكبر منها وللمتفوض العشر في الديم (المطري) والخمس في السيح المائي (العزاوي ، ج٢ ، ١٩٤٧ ، ٢٣٦-٢٣٧)

ويمتهن تربية الحيوانات السكان شبه المستوطنين وتشكل تربية الماشية مصدر رزقهم الوحيد ،أما الفلاحون فيمتهنون الزراعة إلى جانب تربية الماشية وينبغي أن نشير إلى أن عدد الرحل ينخفض باستمرار في كردستان. أما المناطق التي تسود فيها تربية الماشية من قبل السكان فلا نجد أثر للزراعة (قاسملو ، ١٩٧٠ ، ١٥٢ ، الانصاري ، ١٩٧٠ ، ١٣)

أما التنظيمات الاجتماعية للعشيرة الكردية فيسودها نوعان متميزان هما التنظيمات العشائرية والتنظيمات اللاعشائرية، ويبدو أن التنظيمات العشائرية هي الأقدم والأكثر ملاءمة للرعاة (خصباك ، ١٩٧٣ ، ١٦٧) . وتعيش العشائر الرحالة في بيوت من الشعر تتكون من شقق سوداء من نسيج الماعز لذلك تسمى البيوت السوداء.

ويتألف مخيم العشائر الرحالة عادة من المجموعات العائلية التي تربط بينها رابطة القرابة، وفي بعض الأحيان تمثل أسرة واسعة، وتشترك تلك المجموعات العائلية في حقوق المرعى. ويتزعم المخيم عادة رجل متقدم في السن ذو مكانة اجتماعية عالية وذو مقدرة اقتصادية، وربما كان رب الأسرة الواسعة (Wigram , 1916 , 46) .

والعشيرة الكردية هي وحدة سياسية تشمل على فئتين منفصلتين، طبقة حاكمة محاربة، وهي في الأصل رعوية ومهمتها القتال وهي المسؤولة عن حماية أفراد الطبقة الأخرى، وطبقة عامة ومهمتها الزراعة وتربية الحيوانات. ولا ترتبط هاتان الطبقتان برابطة النسب، كما لا ترتبط طوائف الطبقة العامة بروابط النسب، وهذا النموذج العام للعشيرة الكردية وهو في الحقيقة بتأثير العامل الجغرافي (القيسي ، ١٩٥٨ ، ١٧٣) .

ان قبائل كردستان تتكون من عنصرين متميزين احدهما مستقر ثابت والاخر متغير متأرجح .

اما العنصر الثابت مستقر فيتألف من تلك النواة من العائلات التي ينتمي زعيم القبيلة اليها . ويتكون العنصر المتغير من مجموعة دائمة الترحال الذين ينضمون الى هذه القبيلة تارة وتارة الى قبيلة اخرى . (مزيري ، ٢٠١٣ ، ١٧٠)

وكان رؤساء الفرق الصوفية يتمتعون بسلطة على عشائر معينة. والى هذه الفئة انتمى أصحاب الطرق النقشبندية والقادرية[1] وغيرها .

أما المميزات العامة للحياة القبلية الكردية فتنحصر في ثلاث صفات أساسية وهي الرئاسة والقتال والمسؤوليات القبلية (Wilson , 1937 , 290-291). وفي كل قبيلة تقريبا هناك عائلة حاكمة يسمى أعضاؤها بالاغا والبيك (Edmonds , 1958 , 150).

كما أن منصب الرئاسة الوراثي يتطلب صفات معينة أهمها القوة الحربية والثروة والمقدرة الشخصية.

وكانت رئاسة القضاء بيد الرئيس العشائري فهو حامي العشيرة من الاعتداء الداخلي والخارجي. والواقع أن الفرد العشائري كان يفضل قضاء الرئيس العشائري على قضاء الحكومة لسببين أولهما ان الرئيس العشائري هو مرجعه الحقيقي، وثانيهما أن شكواه لدى المراجع الحكومية لا تأتي بنتيجة سريعة لأنها تكلفه بعض النفقات. وتعقد المحاكمات العشائرية في مضيف الرئيس ويحضرها الرؤساء الصغار وبعض أفراد العشيرة.(هي ، ج١ ، ١٩٧٣ ، ٩٠-٩٢)

ويبدو أن سيطرة المحاربين على الزراع قد طبعت مجتمعات العشائر الكردية، واستناداً إلى س.ج. ريج C.j.rich المقيم البريطاني العام في بغداد الذي جال في المنطقة الكردية بين عامي ١٨٢٠-١٨٢١ فأن أهل كردستان ينقسمون إلى عشائر محاربين وطبقة من الفلاحين غير العشائريين

الأدنى منزلة تسمى "كوران" أو "كله سبي" (أصحاب القلنسوات البيضاء)، وكان أفراد العشائر نادر ما يمسون المحراث (Barth , 1953 , 57) .

وتضم منطقة كردستان العراق أحلافاً قبلية كبيرة منها زنكنة التي تقطن قبائله الجزء الجنوبي من كردستان العراق. وحلف الجاف وهو أكثر الأحلاف القبلية عددا وأكبرها أهمية في كردستان العراق ويشمل المنطقة المحيطة بالسليمانية (منتفاهفيلي، ١٩٧٨، ٤٨-٤٩).

وبصفة عامة فان السمة البارزة للمجتمع الكردي خلال القرن التاسع عشر هو كونه مجتمع قبلي ، الولاء فيه يكون في المقام الاول للعائلة ثم للقبيلة وغالبا مايكون هذا الولاء مرتبطا بالولاء للقرابة .

ثانيا : التنافس البريطاني _ الروسي في كردستان خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر

- تغلغل النفوذ البريطاني في كردستان

شهد القرن التاسع عشر تنافساً بين بريطانيا وروسيا القيصرية على نحو خاص للهيمنة والنفوذ في اوساط الكرد وقد بدأت الاوساط الحاكمة البريطانية منذ الثلث الاول من القرن التاسع عشر تولي اهتماما كبيرا لكردستان التي تحتل موقعاً ذا أهمية استراتيجية على تقاطع حدود الدولة العثمانية وبلاد فارس وروسيا القيصرية (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٢٧ ؛ محمد ، ٢٠٠٥ ، ١٧١) .

ان المبررات التي دفعت بريطانيا الى اختيار النصف الثاني من القرن الثامن عشر لتمد نفوذها الى كردستان تعود الى المنافسة بينها وبين قوى اوربية اخرى للتنافس على مناطق النفوذ ، فقد كان هناك الخطر الروسي المتفاقم اذ لعبت روسيا دورا بارزا و مؤثرا في المناطق الكردية الايرانية فوجهت انظارها الى كردستان ايران لا سيما المناطق الواقعة بالقرب من حدود روسيا الجنوبية . (الطعمة ، ١٩٨٥ ، ص٧٥ ؛ البياتي ، ٢٠٠٩ ، ص٣٩ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ص٤٥٥) .

هذا التحرك الروسي اثار حفيظة الانكليز الذين نظروا بعين الشك الى الاطماع الروسية التقليدية في الوصول الى المياه الدافئة في الخليج العربي ، وقد عدت بريطانيا التوسع الروسي باتجاه الجنوب لايستهدف وجودها في الخليج العربي فحسب بل يستهدف السيطرة على هذا الممر المائي الاستراتيجي الموازي للمستعمرات البريطانية في شبه القارة الهندية . (علي ، ٢٠١١ ، ص٢٤ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ص٤٥٥)

ازاء هذه التطورات حذر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج (١٨٠٨-١٨٢١) من مخاطر النشاط الروسي في كردستان . (الطعمة ، ١٩٨٥ ، ص١٤٣ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٥٦) .

وفي هذا الصدد اقترح تايلور الوكيل السياسي لبريطانيا في العراق في تموز عام ١٨٣٣ على حكومة بلاده تقوية نفوذها في كردستان لجعلها منطقة عازلة بين روسيا والوجود البريطاني في الخليج العربي (عبدالله ، ٢٠١٩ ، ص٤٥٦) .

ان هذه التحذيرات كانت مثار اهتمام بريطانيا التي حولت كردستان الى مجال للتغلغل البريطاني من اجل توفير حزام او نطاق من المناطق الكردية يحمي المصالح البريطانية في الهند وجنوب ايران والخليج العربي من الاطماع الروسية (البياتي ، ٢٠٠٩ ، ص٣٩ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ص٤٥٦) .

وكان من مظاهر الاهتمام البريطاني بكردستان هي الجولات العديدة التي قام بها دبلوماسيون وضباط ورحالة بريطانيين في ربوعها للدعاية من جهة وجمع المعلومات عن المنطقة من جهة اخرى. وقد تمكن هؤلاء من مسح المنطقة بشكل كامل تقريبا وجمع معلومات وافية عن مسالكها ومدنها ومواردها (**خالفين ، ١٩٦٩ ، ٢٨-٣٠**).

وقد ظهر اهتمام الدبلوماسيين البريطانيين لتقوية النفوذ البريطاني في كردستان من خلال اقامة علاقات مع القوى المتنفذة فيها. وكان المقيم البريطاني في بغداد كلاوديوس. ج. ريج C. J Rich (١٨٠٨-١٨٢١) اول دبلوماسي بريطاني في العراق يبدي اهتماما خاصا بالمنطقة الكردية، فقد قام خلال السنوات ١٨٢٠-١٨٢١ بجولة في ربوع كردستان بدعوة من حاكم السليمانية محمود باشا الباباني. وكان من نتائج تلك الجولة اقامة صلات مع بعض الزعماء الكرد ولا سيما في منطقة السليمانية، ومنهم خسرو باشا رئيس عشائر الجاف والشيخ حسن رئيس عشيرة البيات (**ريج ، ١٩٥١ ، ١٧ ، ٥٦ ، ٧٧ ؛ احمد ، ١٩٨٤، ٣٤ ؛ مراد ، ١٩٩٧ ، ١٥٩**).

ولم يتوان القناصل البريطانيين في استخدام العشائر الكردية ضد العثمانيين عندما تتعارض مصالحهم مع سياسة العثمانيين في العراق. فقد كان الدبلوماسيين البريطانيون وراء المواجهة المسلحة بين والي بغداد داوود باشا وبعض الزعماء المتنفذين في كردستان عندما صادر داؤود باشا بضائع شركة الهند الشرقية واغلق جميع مؤسساتها وأبعد مستخدميها من العراق. وبعد عدة هزائم في المعارك التي خاضها داؤود باشا مع فصائل القبائل الكردية والقوات الايرانية وافق على التصالح مع شركة الهند الشرقية وممثلها الجديد في بغداد تايلور(**بوندارينكسكي ، ١٩٧٥ ، ٢٥-٢٦**) .

وكان رولنسون من بين الدبلوماسيين البريطانيين الذين ابدوا اهتماما واضحا بكردستان وقام باكثر من جولة فيها خلال العقدين الرابع والخامس من القرن التاسع عشر وقد ارتبط بعلاقات حسنة مع امير الامارة البابانية احمد بن سليمان باشا الباباني (محمد ، ٢٠٠٥ ، ٢١٤ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٥٩) .

ويمكن القول بان هؤلاء الرحالة تغلغلوا في جميع اراضي كردستان تقريبا واثناء تغلغلهم درسوا طوبوغرافيتها واقتصادها ومصادرها الحربية وتركيبتها الاجتماعية والسياسية . وكانت نتيجة تلك الرحلات التي حملت ابعادا تجسسيه تهيا لبريطانيا رسم الخرائط المفصلة لتوزيع الكرد وطرق المواصلات المحلية لهم ومصادر الثروة المعدنية الرئيسة لمناطقهم ومسالك الجبال ومعابر الانهر التي تمر عبر اراضيهم (خاتفين ، ١٩٦٩ ، ٣٢-٣٣ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٥٩) .

_ سياسة بريطانيا ازاء الامارات الكردية

كانت الحسابات الاستراتيجية التي استندت اليها بريطانيا بشأن المسألة الكردية قد اثرت في تصوراتها وردود افعالها تجاه شؤون كردستان ، اذ وقفت بثبات الى جانب تعزيز سلطة الحكومة المركزية في استانبول وطهران في المناطق الكردية ، وظهرت مواقفها السلبية من الكرد من خلال سلوكها المعادي لمساعي بعض الامراء الكرد الطامحين الى اقامة دولة كردية مستقلة ، كذلك دعمها ومساندتها للعثمانيين في قمعهم للانتفاضات الكردية الثائرة ضدهم (اسكندر ، ٢٠٠٧ ، ٣٦-٣٧ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٥٩) .

لقد تبلورت صلات بريطانيا بالمنطقة الكردية في هذه الفترة ذاتها عندما كانت الامارة السورانية[٢] في راوندوز (-١٨٤٦) في اوجها وكان يحكمها محمد باشا الملقب " ميركور " الذي وسع امارته فأصبحت اقوى امارات كردستان مما حدا بالعثمانيين على أن يجهزوا حملة عسكرية للقضاء عليه. وقد أيدهم الإنكليز في ذلك لمنع الفرس من التدخل في شؤون هذه الامارة تجنبا لاي تطورات عنيفة على الحدود العراقية – الايرانية من شأنها ان تؤدي إلى تعقيدات دولية قد تقضي على السياسة البريطانية الرامية إلى الاستقرار على طول الحدود العثمانية – الايرانية لذلك اتصلوا بالامير السوراني وبعثوا اليه " ريتشارد وود "R . Wood الذي اقنع الامير بان لا يستمع للتحريضات الايرانية، وان يعلن الخضوع للسلطان العثماني على امل ان تسعى السفارة البريطانية في اسطنبول للتدخل في اصدار عفو عنه رغم معارضة القيادة العثمانية لهذا التدخل **(نوار ، ١٩٦٨ ، ١٠٥ ؛ الدوسكي ، ٢٠٠٦ ، ١٠٨)** .

كان وود مقتنعا من ان القوات العثمانية سوف تمنى بهزيمة فادحة اذا ماحاولت الاستيلاء على راوندوز . وقد سمع في بغداد عن اعتقاد مندوب شركة الهند الشرقية بان النفوذ الروسي في ايران كان يعزز من تاثير الحكومة الايرانية المخرب في المنطقة الحدودية في وقت كان فيه شاه ايران يعمل لمصلحة روسيا وضد المصالح الروسية في الحدود الشرقية للامبراطورية العثمانية (مكدول ، ٢٠٠٤ ، ٩١) .

كانت السلطات البريطانية تخشى ان يعمد ميركور في فترة من فترات اليأس إلى ان يضع إمارته تحت الحكم المصري نكاية بالعثمانيين اذا ما اطبقوا على امارته. وكان الإنكليز

يعملون على عدم اشراك المصريين او غيرهم في هذه المشكلة حتى لا يتطور الصراع إلى ازمة كبرى ، خاصة اذا كان هذا التدخل من جانب قوى مناهضة للمصالح البريطانية في العراق (فوار،١٩٦٨،١٠٧) . كما خشية بريطانيا ايضا من دور ميركور في استقلال كردستان الذي سيكون خطوة كبيرة لانهيار الدولة العثمانية وهو ما سيكون في مصلحة روسي القيصرية بلا شك (توفيق ، ٢٠١٤ ، ٥٣-٥٤ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٦٠) .

كما حاول رسول بك شقيق ميركور الذي تولى حكم راوندوز بأمر من والي بغداد علي رضا باشا، أن يستعيد ما كان لاخيه من الاستقلال الذاتي فتصدى له نجيب باشا مما دفع رسول بك إلى التفاهم معه وقد تم ذلك في أيلول ١٨٤٦ بوساطة القنصل البريطاني العام في بغداد راولنسون (فوار، ١٩٦٨، ١٠٩) .

وازاء ماتقدم فقد وقفت بريطانيا بالند من تحركات محمد باشا الراوندوزي امير سوران وساندت الدولة العثمانية في اجهاض انتفاضته التي استهدفت استقلال الامارة السورانية وايجاد كيان سياسي موحد للكرد .

وقد تجلى الموقف البريطاني من خلال البرقيات التي كانت ترسل من قبل السفير البريطاني في استانبول الى القناصل البريطانيين في المنطقة يحثهم فيها على الاتصال بقادة الكرد واقناعهم بعدم تأييد جهود ميركور في تحقيق أي استقلال له في كردستان ، كما كلف القنصل البريطاني في اورمية بمهمة التنسيق مع الجيش العثماني من اجل توجيه ضربة مشتركة الى قوات امير سوران لاجباره على الاستسلام . فضلا عن ذلك فقد نشطت الدبلوماسية البريطانية في سبيل تحقيق تضامن بين الدولتين العثمانية والفارسية للقضاء على ميركور وتحركاته التوسعية فقد اظهر السفير البريطاني في طهران رغبة بلاده الملحة لتحقيق ذلك التضامن المشترك (علي ، ٢٠١١ ، ٣٢ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٦٠) .

وامام الضغط العثماني والايراني والدور البريطاني استسلم الامير السوراني لقوات رشيد باشا عندما ادرك عجزه عن مواصلة القتال لاسيما عندما فقد الجزء الاعظم من مناطق نفوذه (عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٦٠) .

وكانت سياسة انكلترا تجاه الامارة البابانية في السليمانية [٣] (١٥٠٠-١٨٥٠) تختلف عما هي أزاء الأمارة السورانية، فكان القنصل البريطاني راولنسون ميالا (خلال المفاوضات الدائرة بين الحكومة العثمانية والايرانية لعقد معاهدة ارضروم الثانية عام ١٨٤٧ حيث كانت ايران تطالب بضم السليمانية اليها) إلى أن تكون الأمارة البابانية بعيدة عن أيدي العثمانيين بشكل ما، وذلك عن طريق تثبيت الأسرة البابانية في الحكم وتقويتها بحيث تستطيع أن تحافظ على نفسها ازاء الصراع بين هاتين الدولتين الكبريتيين وهي خطة سار عليها المقيم البريطاني ريج خلال محادثاته

سنة ١٨٢٠ مع محمود باشا البابانى (نوار ، ١٩٦٨ ، ١١٨) . وخلال الصراع بين الأخوة البابانيين على حكم الأمارة كان المقيم البريطاني راولنسون يقول: "أن احمد باشا البابانى لو نجح في احدى محاولاته لاسترداد السليمانية فستنشب ثورة كردية عامة تنتهي باستقلال كردستان عن الدولة. وفي عودة احمد لسدة الحكم خدمة كبيرة للمصالح البريطانية" (نوار ، ١٩٦٨ ، ١١٨).

وقد دعا راولنسون حكومته إلى احتلال (العراق العربي)[٤] اذا حدث واتفقت الدول على تقسيم الدولة العثمانية وفي هذه الحالة تصبح الأمارة البابنية وعلى رأسها احمد بابان (صديق القنصل البريطاني ورجله المفضل في كردستان) في الحد الشمالي لهذه المستعرة البريطانية، الا ان امال راولنسون ضاعت في خضم العمليات العسكرية العثمانية التي قضت على تلك الأمارة عام ١٨٤٩ (نوار ، ١٩٦٨ ، ١١٩) .

وبخصوص الامارة البوتانية فقد اسهمت بريطانيا ايضا في انهاء هذه الامارة وقمع انتفاضة اميرها بدر خان (١٨٤٣-١٨٤٧) من خلال نشاطها الفعال في اثارة الصدامات بين الكرد والمسيحيين حتى تجد مبررا لتدخلها في شؤون كردستان بحجة حماية المسيحيين (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٢٤-٢٦) ، ففي عام ١٨٤٦ اقدم نمرود رسام مساعد القنصل البريطاني في الموصل بالاتصال بالمار شمعون الذي كان رئيسا روحيا للنساطرة (الاشوريين) الذين كانوا يسكنون في منطقة حكاري التابعة لامارة بوتان وطلب منه التمرد على بدرخان وعدم طاعته واثارة المشاكل بين الكرد والمسيحيين (علي ، ٢٠١١ ، ٣٣-٣٤ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٢٦٠ -٤٦١) .

وقد نجح رسام في اشعال الفتنة بين الطرفين حين اعلن النساطرة رفضهم دفع الضرائب الى الامير البوتاني الذي لم يجد بدا من تجريد حملة تأديبية ضدهم ادت الى احتجاج بريطانيا وروسيا على موقفه هذا وفق مذكرة ارسلت الى الباب العالي يطلبون فيها وضع حد لسلطة بدرخان وامارته ولا فان الدول الغربية ستتدخل لايقاف ما اسموه بمذابح المسيحيين (عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٦١) .

ولتثبت الدولة العثمانية حسن نيتها امام بريطانيا وروسيا جردت حملة عسكرية عام ١٨٤٧ بقيادة والي حلب عثمان باشا ضد امير بوتان الذي لم يستطع الصمود امام الضربات العثمانية التي انهت حكمه حتى اضطر الى الاستسلام والنفي الى جزيرة كريت . وانتهت بذلك امارة بوتان بفضل الدور البريطاني الذي كان يسعى الى الحفاظ على مصالح بريطانيا في المنطقة وذلك بالمحافظة على كيان الدولة العثمانية دون تفكك من قبل الحركات الاستقلالية الكردية (نوار ، ١٩٦٨ ، ١١٢ ؛ البوتاني ، ٢٠٠٧ ، ٢١ ؛ عبدالله ، ٢٠١٩ ، ٤٦١) .

- تغلغل النفوذ الروسي في كردستان

على النقيض من الموقف البريطاني فان الحكومة الروسية لم تولي اهتماما لكردستان حتى مطلع القرن التاسع عشر فأصحاب المشاريع الروس في هذه الحقبة كانوا قد استكانوا الى القناعة بما حققوه من الصلات الاقتصادية التي تمسكوا بها مع ايران والامبراطورية العثمانية باستخدام الطرق المتوفرة المارة عبر كردستان (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٤١) .

تعود بدايات العلاقات المباشرة بين روسيا وكردستان التاريخية الى حقبة الحروب الروسية – الفارسية والحروب الروسية – العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر حيث جاءت الاتصالات الاولى بين روسيا والكرد نتيجة لاقتراب العمليات العسكرية من الاراضي التي يقطنها الكرد ، ثم ما لبث ممثلو الامبراطورية الروسية ان خفضوا مستوى اتصالاتهم مع المفاوضين الكرد في الفترة مابين ١٨٠٤-١٨٠٥ لتقتصر بشكل اساسي على محاولات ضمان حياد الكرد في الصراع الروسي الفارسي والروسي – العثماني (خالفين ، ١٩٦٩، ٤١ ؛ AL Jazeera Centre for studies)

كانت روسيا القيصرية تهدف من هذه الاتصالات المبكرة مع الكرد الى تحقيق اهداف عدة منها:

١- تحييد الكرد خلال صراعهم مع الدولتين الفارسية والعثمانية .

٢- كسب ود الكرد خاصة بعد ان تمكنت روسيا من بسط سيطرتها على اجزاء من اراضي كردستان.

٣- الاستفادة من الكرد كمقاتلين في حروبها ضد الدولتين الفارسية والعثمانية.

٤- مد نفوذها داخل المنطقة والتغلغل فيها للوصول الى المياه الدافئة في الخليج العربي (روباري ، ٢٠٢٠).

ان اول اتصال بين ممثلي الامبراطورية الروسية وشيوخ الكرد كما اشارت المصادر حدث عام ١٨٠٤ ففي فترة الحرب الروسية – الفارسية وجه القائد العام للقوات الروسية في جورجيا الامير جيجيانوف في ٢٤ تموز ١٨٠٤ رسالة الى حسين اغا رئيس القبائل الرحالة الكردية في خانية يريفان الذي كان قد وضع فرق من فرسان تلك القبائل تحت تصرف السلطات المحلية الفارسية ، وقد اقترح الامير جيجيانوف على حسين اغا ان يصبح الى جانب روسيا وان يكسب الجنسية الروسية وقد تعهد ان يحفظ للقادة الكرد جميع حقوقهم وامتيازاتهم .

وبالرغم من ان حسين اغا قد امتنع عن الرد على هذه الرسالة الا انه مع ذلك انسحب مع الفرسان الكرد من يريفان التي كانت محاصرة من قبل الجنود الروس . (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٤٢) .

جرب القادة الروس في العام التالي ١٨٠٥ محاولات جديدة لاجتذاب الكرد الى جانب الامبراطورية الروسية الا ان جميع هذه المحاولات اصيبت بالإخفاق بل اكثر من ذلك فقد حدثت

اصطدامات مسلحة بين الكرد والروس على اثر الغزوات التي قامت بها الفرق الكردية على اراضي تابعة للإمبراطورية الروسية (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٤٢) .

ونتيجة لهذه الاحداث فقد اخذت سياسة السلطات الروسية بآراء القبائل الكردية وهو ضمان حيادها في الصراع بين روسيا وبلاد فارس وروسيا والدولة العثمانية . وقد صاغ افربالوف اسلوب هذه السياسة كمايلي : " لقد عرض على الرؤساء الاكراد الانتقال الاختياري الى المواطنة الروسية مع التعهد بضمان جميع حقوقهم على القبائل التي هي تحت سيادتهم ، وترك عدد مناسب من القبائل الرحل و حريتهم ومنع الاعمال العسكرية ضدهم الا في حالات الضرورة القصوى وفي نفس الوقت عدم ترك أي عمل من اعمال الغزو والسلب داخل حدودنا بدون عقاب شديد صارم " (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٤٢) .

لقد ابدت القبائل الكردية نشاطا اشد بكثير خلال الحروب الروسية – الفارسية ١٨٢٦ – ١٨٢٨ وكان ذلك بسبب قرب مسرح الوقائع الحربية من مناطق سكن الكرد فضلا عن ان الجنرالات الروس ابدوا اهتماما اقل لمحاولات الحصول على نفوذ سياسي بين الكرد (خاتفين ، ١٩٦٩ ، ٤٣) .

ومن جهتها حاولت بريطانيا كما فعلت في الحروب السابقة ان تتدخل دوما لعرقلة انهاء الصدام المسلح الروسي – الفارسي فقد زودت بريطانيا الجيش الايراني بالمدافع والبنادق والذخائر الحربية ، كما اشترك الضباط الانكليز بصفة مدربين في تدريب الفرسان الكرد على الاعمال الحربية . (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٤٣) .

حاولت روسيا خلال الحرب الروسية – العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩ كسب الكرد الى جانبها في هذه الحرب وفي الصراع المستقبلي ضد الدولة العثمانية وقد افلحت بتجنيد اعداد من الكرد في هذه الحرب وضمهم الى فرقها العسكرية . (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٤١-٤٢ ؛ توفيق ، العدد ٣ ، ٢٠٠٩ ، ٣) .

وبخصوص القبائل الكردية في جنوب كردستان فقد اشار خالفين بانها لم تقم باي نوع من المساهمة في الحرب الروسية – العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩ . فسياسة القمع الشديدة التي انتهجتها الدولة العثمانية في اخماد انتفاضات القبائل الكردية المعادية لهم قد نجم عنها الموقف السلبي ازاء الاشتراك في الحرب الى جانب العثمانيين فقد وقف الكثير من الزعماء الكرد في الامارات الكردية بوتان وراوندوز وبادينان وحكاري الواقعة تحت السيادة العثمانية موقف الحياد في هذه الحرب ، فضلا عن وقوف بعض قادة الكرد التي كانت اراضيهم تقع في منطقة العمليات العسكرية موقفا (متذبذبا) فكان قادتهم يتفاوضون مع قادة الجيش الروسي وفي الوقت نفسه مع قادة الجيش العثماني كلما سنحت الفرصة لهم (خالفين ، ١٩٦٩ ، ٤٣) .

ومما تقدم فقد اصبح واضحا ان الكرد لم يبدو اهتماما خاصا بالدفاع عن مصالح الدول الغربية خلال الحروب الروسية – الفارسية والروسية – العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر .

الخاتمة:

تعد العشائر الكردية عنصرا اساسيا مهما ومتميزا في كردستان بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ولذلك فقد ركزت السياسة البريطانية والروسية لاحتواء ولاءها الى جانبها .

ان موقع كردستان واهميتها الجغرافية والاستراتيجية جعلها مصدر جذب للقوى الدولية الكبرى لاسما بريطانيا وروسيا .

وقد اتخذت بريطانيا من تغلغلها في كردستان منفذا لتقوية نفوذها في ايران والدولة العثمانية من اجل ازاحة القوى المنافسة لها في المنطقة وخاصة روسيا القيصرية .

ويلاحظ ان تنامي النفوذ البريطاني كان عاملا من عوامل عدم الاستقرار في كردستان فضلا عن ان بريطانيا اصبحت قوة مؤثرة في مستقبل الكرد وكان لها دور واضح في اسقاط الامارات الكردية .

وخلافا للدور البريطاني لم تحاول روسيا القيصرية ان تعزز مكانتها في كردستان فقد اتبعت نهجا سياسيا ازاء الكرد استهدف ضمان حيادهم في الحروب الروسية – الفارسية والروسية – العثمانية وكان هذا النهج ايضا يتفق مع مصالح القبائل الكردية .

ومن جانبهم فقد وقفت بعض القبائل الكردية الى جانب روسيا بين اعوام (١٨٠٤-١٨١٣) و (١٨٢٦-١٨٢٨) اثناء الحروب الروسية – الفارسية فضلا عن وقوفهم الى جانب الروس ايضا في حربهم ضد الدولة العثمانية اعوام (١٨٢٨-١٨٢٩) وكان هذا الموقف مقابل مساعدات عسكرية ومالية لا قيمة لها .

قائمة المصادر:

اولا : الرسائل والاطاريح الجامعية

١- باسم حطاب الطعمة ، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق ١٧٩٨-١٨٣١ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب جامعة بغداد ، ١٩٨٥ .

٢- عبدالرحمن ادريس صالح البياتي ، سياسة بريطانيا تجاه كرد العراق ١٩١٤-١٩٣٢ ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ٢٠٠٩ .

٣- كامل جاسم دهش ، الامارة البابانية في العهد العثماني ١٦٦٩- ١٨٥١ (دراسة تاريخية) ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ .

٤- محمد عصفور سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ١٩٨٩ .
٥- محمد هادي القيسي ، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١-١٨٦٩ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ١٩٨٥ .

ثانيا : الكتب العربية والمعربة

أ : العربية

١- انور المائي ، الاكراد في بهدنان ، (الموصل ١٩٦٠) .
٢- البدليسي ، شرفنامة ، ج١ ، (القاهرة ١٩٦٢) .
٣- حنا بطاطو ، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ، ج١ ، (بيروت ١٩٩٥) .
٤- خليل علي مراد ، دوافع رحلات الانكليز الى الموصل واطرافها في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، (جامعة الموصل ١٩٩٧) .
٥- سعد بشير اسكندر ، من التخطيط الى التجزئة سياسة بريطانيا العظمى تجاه مستقبل كردستان ١٩١٥-١٩٢٣ ، مطبعة شيفان ، (السليمانية ٢٠٠٧) .
٦- شاكر خصباك ، الاكراد ، مطبعة شفيق ، (بغداد ١٩٧٢) .
٧- شاكر خصباك ، العراق الشمالي ، مطبعة شفيق ، (بغداد ١٩٧٣) .
٨- شعبان مزيري ، كردستان في ظل الحكم العثماني١٥١٤-١٩٠٨ ، دار الشؤون الثقافة العامة ، (بغداد ٢٠١٣) .
٩- صالح خضر محمد ، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١-١٩١٤ دراسة تاريخه ، دار الشؤون الثقافة العامة ، (بغداد ٢٠٠٥) .
١٠- عبدالرحمن قاسملو ، كردستان والاكراد ، المؤسسة اللبنانية للنشر ، (بيروت ١٩٧٠) .
١١- عبدالعزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة ١٩٦٨) .
١٢- عبدالفتاح علي البوتاني ، دراسات ومباحث في تاريخ الكرد والعراق المعاصر ، (اربيل ٢٠٠٧) .
١٣- عباس العزاوي ، عشائر العراق ، ج٢ ، (بغداد ١٩٤٧) .
١٤- عثمان علي ، الحركة الكردية المعاصرة دراسة تاريخية وثائقية ١٨٣٣-١٩٤٦ ، ط٣ ، (اربيل ٢٠١١) .
١٥- علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٧٣٨-١٨٥٠ ، مطبعة اوفسيت ، (بغداد ١٩٨٥) .

١٦- فاضل الانصاري ، سكان العراق ، (دمشق ١٩٧٠) .
١٧- فؤاد حمه خورشيد ، العشائر الكردية ، مطبعة الحوادث ، (بغداد ١٩٧٩) .
١٨- كامران عبدالصمد الدوسكي ، كردستان في العهد العثماني في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، دار الموسوعات العربية ، (بيروت ٢٠٠٦) .
١٩- كمال مظهر احمد ، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، ط٢ ، (بغداد ١٩٨٤) .
٢٠- هوكر طاهر توفيق ، الكرد والمسألة الارمينية ١٨٧٧-١٩٢٠ ، دار اراس ، (اربيل ٢٠١٤) .

ب_ المعربة

١- البرت منتشاشفيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ، (جامعة بغداد ١٩٧٨) .
٢- بونداريفسكي ، سياستان ازاء العالم العربي ، دار التقدم ، (موسكو ١٩٧٥) .
٣- دبليو . ار. هي ، سنتان في كردستان ١٩١٨-١٩٢٠ ، ج١ ، ترجمة فؤاد جميل ، (بغداد ١٩٧٣) .
٤- ديفد ماكدول ، تاريخ الاكراد الحديث ، دار الفارابي ، (بيروت ٢٠٠٤) .
٥- كلوديوس جيمس ريج ، رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ ، ترجمة بهاء الدين نوري ، ج١ ، (بغداد ١٩٥١) .
٦- ن . أ . خالفين ، الصراع على كردستان المسألة الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر ، ترجمة احمد عثمان ابو بكر ، مطبعة الشعب ، (بغداد ١٩٦٩) .
٧- هاملتون ، طريق في كردستان ، ترجمة جرجيس فتح الله ، ط٢، (اربيل ١٩٩٩) .

ثالثا : الاجنبية

1: Sheikh A Waheed , The Kurds and their country , (Pakistan 1955) .
2: F . Barth , principles of the social organization in southern Kurdstan .(Oslo 1953) .
3: William Yale , The Near East ,(London 1958) .

رابعا : البحوث والمقالات العربية والاجنبية

أ : العربية

a. بيار روباري ، " العلاقات الكردية – الروسية " ، www . sot Kurdistan .net , 27-10-2020 .
٢- شاكر خصباك ، " مميزات الحياة القبلية الكردية " ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢ ، شباط ١٩٦٠ .
٣- نزار عمران عبدالله ، " التغلغل البريطاني في كردستان (١٧٥٠-١٨٥٠) بدايا ته ، دوافعه ، مظاهره " ، سياسة بريطانيا تجاه القضية الكردية ، جامعة زاخو ٢٠١٩ .

٤- هوكر طاهر توفيق ، " جريدة كردستان وروسيا القيصرية ١٨٩٨-١٩٠٢ دراسة في موقف جريدة الكرد الاولى (كردستان) من روسيا القيصرية ، مجلة التربية والعلم ، المجلد ١٦ ، العدد ٣ ، ٢٠٠٩ .

ب- الاجنبية

1: C.J. Edmonds, "The Place of the Kurds In the Middle Eastern" , Journal of The Royal Central Asian Society , Vol. XLV, No: 45, January 1958 .

2 : Edgar Wagram, "The Ashiret Highlands of Hakkiari", Journal of The Royal.., Vol. 111, No:3, January 1916 .

3 : Major W. Wilson, "Northern Iraq and its People", Journal of The Royal .., Vol. XXLV, No: 24, January 1937 .

4 : WWW . Al . Jazeera centre for studies . net .

الهوامش:

(١) تأسست الطريقة النقشبندية لأول مرة في كردستان العراق في مطلع القرن التاسع عشر تقريباً عبر مولانا خالد (توفي ١٨٢٦)، وهو من أفراد عشيرة الجاف. وفي الوقت نفسه وصلت الطريقة القادرية الأقدم إلى ذروة قوتها في ذلك الإقليم. ويتبع النقشبنديون تعاليم محمد بهاء الدين البخاري (١٣١٧-١٣٨٩). أما القادريون فيتبعون تعاليم الشيخ عبدالقادر الكيلاني (١٠٧٧-١١٦٦) وقد سيطرت الطريقتان فيما بعد على الحياة الدينية الكردية . (بطاطو ، ج١، ١٩٩٥ ، ٦٣) .

(٢) ان العائلة الحاكمة لامارة سوران كانت تنحدر من عشيرة بشدر الجبلية ، وهى احدى اقوى العشائر الكردية ، (بطاطو ، ج١ ، ٩٦ ؛ البدليسي ، ج١ ، ١٩٦٢ ، ٢٦٨-٢٧٧ ؛ نوار ، ١٩٦٨، ١٠١-١١٠).

(٣) يشير الباحث بطاطو ان البابانيين ربما كانوا يمتون بصلة القرابة إلى عشيرة البشدر اذ ان أصولهم كانت من ناحية في بلاد البشدر، وقبل انتقالهم إلى الباشوية كانوا زعماء اقطاعين لهذه العشيرة تحت حكم السورانيين ، وهم ينتمون إلى (فقي احمد) الذي كان قائد عسكري في القرن السابع عشر ، وان الاتراك كافئوه على مساعدته لهم في الحرب بان أقطعوه عدد من القرى . (بطاطو ، ج١ ، ٩٦-٩٧ ؛ البدليسي ، ١٩٦٢ ، ج١ ، ٢٧٦-٢٨٨ ؛ نوار ، ١٩٦٨ ، ١١٢-١٢٠ ؛ علي ، ١٩٨٥ ، ١٦٤-١٦٧) .

(٤) مصطلح جغرافي يقصد به المنطقة الواقعة جنوب كردستان والممتدة من الموصل إلى البصرة.

هەڤرکییا هەژمونێ دناڤبەرا بەریتانیا و روسیا ل نیڤا ئێکێ ژ سەدەیێ نوزدە و کاریگەریا وێ ل سەر میرگەهێن کوردی ١٨٠٠-١٨٥٠

پڕۆختە:

کوردستان ل نیڤا ئێکێ ژ سەدیێ ١٩ جهێ راکێشانا بەرژەوەندییێن دەولەتێن زلهێز بوو ئەو ژی ژبەر جهێ وێ یێ ئیستراتیجی و پێگەهێ وێ یێ ئابووری، لەوڕا هەر ئێک ژ بەریتانیا و روسیا قەیسەری هەر ژ دەستپێکا ڤی سەدەی هەولدان پێگەهەکێ بو خوە ل ڤی جهی پەیدا بکەن و هەولا دەرباس بوون بو ناڤ هوز و عەشیرەتێن کوردان بدەن، هەروەسا پێکولکرن کو پێکهاتەییێن ئاینی ژی بو لایێ خوە بکێشن ئەوژی ب چەندین ڕێیان وەک شاندێن دبلوماسی یان چالاکییێن میسیونەری یان ب ڕێکا گەروک و شوونوارناسان.

ئەڤ ڤەکولینە ل سەر دوو تەوەران هاتیە دابەشکرن یا ئێکێ وێنەیەکێ روهن سەبارەت پێکهاتا ئابووری و جڤاکییا هوزان ل کوردستانێ دیار دکەت.

تەوەرێ دووێ بەحسێ ململانێیا روسی- بەریتانی ل کوردستانێ ل دەستپێکێن سەدەیێ ١٩ و کاریگەریا وان ل سەر پاشەرۆژا میرگەهێن کوردی دکەت.

پەیڤێن سەرەکی: *بەریتانیا، روسیا، کوردستان، میرگەهێن کوردی، سەدەیێ نوزدە*

The British-Russian influence struggle in Kurdistan during the first half of the nineteenth century and its impact on the Kurdish emirates 1800-1851

Abstract:

Kurdistan is an area of attraction for the interests of major countries, especially in the first half of the nineteenth century, due to its economic and strategic importance. Britain and Tsarist Russia worked during the period from the beginning of the nineteenth century until the middle of this century to find a foothold for them in Kurdistan and try to penetrate among the Kurdish clans as well as win over Religious minorities have represented this in many ways, whether through diplomatic activity, missionary missions, or travelers and archaeologists.

This study was divided into two axes. The first dealt with giving a picture of the importance of the economic and social composition of the clan in Kurdistan.

The second axis touched on the British-Russian rivalry in Kurdistan from the early nineteenth century until the middle of this century, and the impact of that conflict on the future of the Kurdish emirates

Keywords: *Britain, Russia, Kurdistan, the Kurdish Emirates, the 19th century Abstract*